بعيداً عن الإحتفاء بيومها

اللّغة العربيّة تريد بندقيّة ومصنعاً وغزّة

الوفاق/ خاص
د.سناء الشّعلان

خروجاً مني على التّقاليد و(البرتوكولات) البالية الهزيلة للاحتفاء باللّغة العربيّة فيما يُسمّى بالبوم العالميّ لها، وجنوحاً -بإصرار منّي- عن التّوقّف عند سبب اختيار هذا اليوم بعينه للاحتفاء بها، وقطيعة مقصودة مني -مع سبق الإصرار والتّرصّد والتّبرّؤ- على تكرار ما يكرّره المكرّرون في هذه الذّكرى المزعومة في كلمات بوقيّة لا قيمة لها، فإنّني أرى أنّ نتوّقف جليّاً عند مطلب اللّغة العربيّة منّا، بدل أن ننبري للاحتفاء بها خبطا عشوائيا جَرياً على عادتنا العربيّة الفارغة في التّطبيل والتّزمير ما دام الحفل والجمهور يطلبون ذلك، حتى ولو كان الاحتفاء على جثّة معذّبة بالهجر والنّكران والصّدود.

الإحتفاء بيوم اللّغة العربيّة

في كلّ عام تُقام -على سبيل التّسابق والرّياء والتّكاذب- النّدوات والإحتفاليّات والإجتماعات والفعاليّات هنا وهناك وبعيداً وقريباً في تهريج اسمه الإحتفاء بيوم اللّغة العربيّة، وتحضر الأسماء ذاتها من (الأموات الأحياء) لتعتلي المنابر ذاتها لتقول الكلام عينه، وتنعقد الحفلات ذاتها في الأماكن عينها بالحضور نفسه لإحتفاء مزوّر باللّغة العربيّة، وتكون النّتيجة: بطونٌ نالتْ أرزاقها من أجور النّدوات والحفلات ومتنفّعون بالفعاليّات وكثير من التّوصيات المستهلكة والكلام الزّائف ذاته، وانتهى الأمر، وفرح الجميع بأرزاقهم القليلة وخيباتهم العريضة، إلّا اللّغة العربيّة التي سئمتْ من هذه الاحتفاليّات البالية، ولم تطرب لقصائد السّويعرين والشعرورين الذين ترنّموا بها بشعر مصنوع متكلّف، ولم تبال بما قاله القائلون، ولا حنّتْ إلى ما ذكره الذّاكرون.

اللغة العربية تحتاج إلى مصنع وورثة باريّن بها

إذن، اسمحوا لي أن أقول إنّ اللّغة العربيّة لا تحتاج إلى احتفالات وأهازيج وحفلات غذاء وعشاء و(دفاتر تقويم) سنويّ توزّع على روحها، كما توزّع كتب الأذكار على أرواح الموتى في دور العزاء وحفلات التّأبين وعند شواهد القبور.

اللّغة العربيّة لا تحتاج إلى ذلك كلّه، بل هي في حاجة إلى بندقيّة ومصنع وورثة باريّن بها، وتفصيل الأمر ليس بالمعادلة المستحيلة، ولا بالفكرة الملغزة، ولا بالطّلب المستحيل، إلّا أنّه طلب عزيز مُبتغى، وهو يحتاج -دون شكّ- إلى وعي حقيقيّ ونيّة مخلصة وعمل دؤوب وإدارة ناجحة.

ميلاد اللّغة العربيّة من جديد

ميلاد اللّغة العربيّة من جديد لن يكون إلّا بتكرار ميلادها الأوّل؛ لتحقّق وجوداً حقيقيّاً يماثل دورات الخلود الأسطوريّة؛ إذ يُولد طائر الفينيق مرّة تلو أخرى من رماد رفاته، ولا يموت أبداً، إنّما يكرّر حياة تلو حياة، بموته مرّة تلو أخرى.

اللّغة العربيّة لم تُولد حقيقة إلّا بقوّة السّيف العربيّ الإسلاميّ في ظلّ الدّولة الإسلاميّة الوليدة، ومن ثمّ الامبراطوريّة الإسلاميّة القويّة المهيمنة، فتحوّلتْ من لغة أعاريب ضائعين في صحارى الوهم إلى لغة الإسلام والعروبة والقوّة والتّوسّع والفتوحات والامبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة العظيمة التي كانتْ في عصور زهوها هي الأقوى في زحام الحضارات الإنسانيّة، وهي لغة الأقوياء والمسيطرين، فباتتْ بذلك لغة الجميع أرادوا ذلك أم أبوا.

اللّغة العربيّة تحتاج إلى بندقيّة وقوّة

اللّغة العربيّة تحتاج إلى بندقيّة وقوّة في أيدي أهلها لتقوى بقوّتهم، وتُعزّ بعزّتهم، وتُكرّم بكرامتهم؛ عندها سوف تكون لغة عالميّة بحقّ، وستعود قوّتها لها، دون احتفاءات تأبينيّة سخيفة لا تؤكّد سوى تسليم أهلها بأنّها تحتضر، وتموت!

ما معنى الاحتفال باللّغة العربيّة والعرب والمسلمون في كلّ مكان ممّن حملتْ أجوافهم اللّغة العربيّة بشكل أو بآخر من ضعف إلى آخر، ومن ذلّ إلى أشدّ، ومن خزيٍ إلى مخازٍ إلّا من رحم ربي؟!

اللغة العربية وغزة

كيف يمكن للغة العربيّة أن تصبح لغة حياة وحضارة وجمال وانتصار، وأهلها في هزيمة وضعف؟! كيف يمكن أن تنتصر اللّغة العربيّة وأهلها يتركون مجاهدي غزّة ومواطنيها في مرمى توحّش الصّهاينة ومن والاهم من الظّلاميين؟

كيف يمكن للّغة العربيّة أن تزهو بأهلها، وأهل غزّة يهتفون: واعرباه! ولا يسمعون صوتاً يقول لهم: لبيّك يا فلسطين، لبيّك غزّة، إلّا القليل من أشراف العروبة والإسلام والإنسانيّة، في حين يغطّ الجميع في سبات اختياريّ اسمه: الصّمت والمراقبة والانتظار والخوف والتّصهين.

سحقاً للّغة العربيّة ولأهلها ولمريديها ولاحتفاءات المحتفين بها ما لم تهبّ اللّغة العربيّة لتدعو إلى الجهاد وإلى نصرة فلسطين وتحريرها من الصّهاينة المحتلّين، لا معنى للعربيّة إنْ لم تكن لغة ثورتنا ورفضنا وعزّنا وكرامتنا، لا حياة لها ولأبنائها إنْ لم تُسطّر بها سطور النّضال والجهاد والكرامة والقوّة، ولا معنى لقصائدها وكلماتها إنْ لم تبعث فينا الحياة والعزّة والنّجدة.

إنْ لم تستطيعوا أيّها المحتفون الكرام أن تفعلوا ذلك كلّه؛ فلا تحتفلوا باللّغة العربيّة، رجاءً حافظوا على القليل الباقي من أمواه وجوهكم المسكوبة حدّ الفضيحة، ولا تشاركوا في حمل نعش اللّغة العربيّة؛ فالأموات الشّرفاء يجب حملهم على أكتاف البررة، لا على أكتاف الجبناء والفسقة.

لا تصدّقوا يا سادة يا كرام، أنّ حفلاً ما سوف يحيي العربيّة، وأنّ خطيباً ما سوف يبعث العربيّة، وأنّ قصيدة مناسبات مهترئة مصنوعة على عجل سوف تفتح الصّدور والقلوب والمجالس للغتنا المنكوبة بنا.

لا يمكن أنّ يفرض اللّغة العربيّة، وأن يحميها، وأن يزيّنها سوى قوّة حقيقيّة تفرض احترامها ووجودها بمقدار وجود أهلها وتحقّقهم، أما رفع رايات اللّغة العربيّة فوق منصّات الخطباء في المحافل العربيّة والمستعربة فهو تهريج لا يعني أيّ شيء؛ فلغز قوّة أيّ لغة واستمراريّتها ومجدها هو في قوّة حضارة أهلها؛ فلا قيمة للّغة في ذاتها مهما توافرتْ عليه من جماليّات مفترضة؛ فاللّغات جميعها قد استطاعتْ أن تقوم بوظائفها التّواصليّة والجماليّة بدليل وجودها وحياتها وديمومتها.

الفيصل في قوّة حياة اللّغات هو قوّة أهلها

إنّما الفيصل في قوّة حياة اللّغات هو قوّة أهلها وسطوتهم واقتدارهم؛ فاللّغة العربيّة لم تصبح لغة الحضارة إلّا عندما تحضّر أهلها، ولم تصبح قويّة إلّا بقوّة أهلها، تماماً كما هو حال اللّغات الأخرى السّائدة في كوكب الأرض الآن التي ما أصبحتْ قويّة إلّا بقوّة أهلها، فلا تفسير جماليّ أو تواصليّ مقنع أبداً لانتشار هذه اللّغات، مثل: الانجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة والرّوسيّة والفارسيّة والصّينيّة إلّا بقوّة أهلها، وهيمنتهم بشكل أو بآخر، ولوكان ذلك بالاستعمار والاحتلال الصّريح المسلّح أو المتشكّل على أشكال مختلفة، على رأسها قوة البندقيّة والمصنع.

هذا الكلام يقودنا مباشرة من البندقيّة إلى المصنع؛ فاللّغة العربيّة -شأنها شأن أيّ لغة أخرى- تحتاج إلى منتج حضاريّ لتهيمن، أيّ تحتاج إلى تقدّم علميّ في الأشكال والمناحي جميعها، عندها سوف تحلّ اللّغة العربيّة في مكانها المرجوّ لها، وتصبح لغة الثّقافة والحضارة والتّواصل والعلم، وتخرج من مدفنها الأحمق التّاريخيّ بوصفها لغة رومانسيّة مكانها دواوين الشّعر وصدور العشّاق وآهات المخذولين، لتغدو لغة حضارة ومنتج يواكب نتاجات هذه الحضارة والحضارات المجايلة لها؛ وبهذا تسود اللّغة العربيّة، وتشتهر، وتقوى، وتعيد سنّتها الأولى، عندما أصبحتْ بالعلم والمنتج الحضاريّ هي لغة الحضارة والهيمنة والتّواصل الحضاري في عصور طويلة؛ فما كان لطالب علم أو متعلّم أو عالم أو باغي مجد أو وظيفة أو حضور أن يدرك حاجته ومبتغاه في العلم والحياة والتّحقّق دون أن يتقن اللّغة العربيّة، وما كان لمتأدّب أن يطّلع على علوم الغابرين وابتكارات المعاصرين إلّا إنْ أتقن اللّغة العربيّة التي هي بطبيعة الحال حاملة الحضارة وأداة إنجازها ونقلها؛ لذلك أتقن الجميع -من أهل الصّفوة والعلم والتّطلّع في العصور الذّهبيّة للامبراطوريّة الإسلاميّة- اللّغة العربيّة، بل وتفوّق البعض منهم على أهلها ذاتهم، وحملوا لواءها بإخلاص واقتدار، وشاركوا في كتابة إرثها ومجدها، وخطّوا أسماءهم في أسفارها بحروف من نور وخلود وعزّة.

الصّراع الوجوديّ للغات

الصّراع الوجوديّ الآن للغات وأهلها وللحضارات جميعها ليس في التّباري بحفلات الشّاي والغداء على هامش الهتاف لحياة اللّغة العربيّة، أو لحياة غيرها من اللّغات؛ فهذا محض صراخ أطفال حمقى لا يدركون كنه ما يدور حولهم من حقائق، بل الفيصل الآن للقوّة الماديّة والعلميّة والمعنويّة؛ فالأمّة التي تمسك بيمينها ببندقيّة تصون بها عرضها وشرفها وكرامتها وعزّتها، وتمسك في يسارها أدوات الحضارة والعلم والإنجاز هي مَنْ ستهب الحياة لها وللغتها، أمّا أصحاب الحفلات المهترئة والاجتماعات المملّة ووجبات الغداء والعشاء وقصائد المناسبات وهواة الصّور الجماعيّة في مقدّمة الصّفحات الثّقافيّة في الصّحف فلن يحصلوا على أكثر من ممّا حصلوا عليه من احتفاءاتهم الفارغة، ولن يزيدوا اللّغة العربيّة سوى ضعفاً وخذلاناً وتهميشاً لها، وأكبر دليل على ذلك أنّ الكثير من الدّول المحتفية بالعربيّة أفراداً وجماعات قد هجرت العربيّة منذ زمن، ودفعتها إلى أروقة القاعات القديمة والأقسام الأكاديميّة الواهية، وقلّصتها في وظائف شرفيّة سخيفة لا قيمة لها، وحصرتها في جهود مزوّرة مبثوثة هنا وهناك يتكسّب منها المتكسّبون، ويستفيد منها المستفيدون، في حين أن الدّول والأفراد لا سيما النّشء العربيّ يتشدّقون -بفخر وتيه- باللّغات الأجنبيّة، ويتنكّرون مرّة تلو لأخرى للّغة العربيّة، حتى باتت الكثير من المدن العربيّة هجيناً قبيحاً من اللّغات الغريبة المهاجرة إلينا، فسيطرتْ على اللّغة العربيّة وعلى أهلها، وطردتْ اللّغة العربيّة إلى أضيق دوائر التّواصل والتّخاطب والاهتمام؛ فبات العربيّ -على حين جهل- يتحدّث باللّغة الوافدة التي يحاول أن يقصر نفسه عليها، ويزدري اللّغة العربيّة، ويهجرها دون عودة، في حين تقيم دولته الحفلات السّنويّة على شرف لغته العربيّة التي تناضل بإصرار كي لا تلفظ أنفاسها الأخيرة في صدور أبنائها العاقين الذين يبحثون عن أنفاسهم في لغات أخرى جذبتهم بقوّة أهلها وسطوتهم الصناعيّة والحضاريّة.

خلاصة القول

إنْ اجتمعت البندقيّة والمصنع للّغة العربيّة فهي تملك -دون شكّ- أبناء بررة بها، يخلصون لها، ويدافعون عنها، ويهبون لها أسباب الحياة والبقاء، وبهم وبجهودهم يكون الخلود لها؛ فلغةٌ تملك البندقيّة والمصنع والأبناء الأوفياء لها لهي لغةٌ جديرة بالحياة والخلود والازدهار، ولكم أيّها المحتفلون الخواء والهراء ما دام فهمكم لدعم اللّغة العربيّة ينحصر في مجرّد حفل غداء وحقيبة مشاركة وقلم رخيص وحفنة أوراق وصورة تذكاريّة لا قيمة لها.

اللّغة العربيّة -شأنها في ذلك شأن أيّ لغة أخرى- تريد بندقيّة ومصنعاً وأبناء بررة وحياة واستمراراً وقوّة، ولا تريد احتفالات، وأخال أنّ اللّغة العربيّة تريد الآن -بإصرار- غزّة وأهلها وجهادها المقدّس وصمودها الأسطوريّ، ولكم فتات الموائد جميعها دون منازع.

> اللّغة العربيّة تحتاج إلى بندقيّة وقوّة في أيدي أهلها لتقوى بقوّتهم، وتُعزّ بعزّتهم، وتُكرّم بكرامتهم؛ عندها سوف تكون لغة عالميّة بحقّ، اللّغة العربيّة تريد الآن غزّة وأهلها وجهادها المقدّس وصمودها الأسطوريّ

> كيف يمكن للغة العربيّة أن تصبح لغة حياة وحضارة وجمال وانتصار، وأهلها في هزيمة وضعف؟! كيف يمكن أن تنتصر اللّغة العربيّة وأهلها يتركون مجاهدي غزّة ومواطنيها في مرمى توحّش الصّهاينة ومن والاهم من الظّلاميين؟

اخبار قصيرة

«جائزة الشهيد سليماني للأدب» تكشف عن قوائمها القصيرة

أعلنت "جمعيّة أسفار للثقافة والفنون والإعلام" القوائم القصيرة لـ "جائزة الشهيد سليماني العالمية للأدب المقاوم" في دورتها الثالثة، المخصّصة للقصيدة العمودية والرواية والقصة القصيرة وسيناريو الفيلم القصير.

وكشفت الجمعية للمرة الأولى أن حفل إعلان النتائج سيُقام في بغداد في النصف الثاني من شهر كانون الثاني/ يناير المقبل، بعد أن جرت العادة على إقامته في بيروت، معلنة إطلاق اسم "دورة الشهيد أبو مهدي المهندس" على الدورة الحالية من الجائزة.

وسيشهد الحفل إعلان أسماء الفائزين بالمراكز الثلاثة الأولى في كل فئة، والترتيب النهائي، إضافة إلى أسماء أعضاء لجان التحكيم.

إقامة المعرض الدولي للخط العربي في مشهد المقدسة

الوفاق/ يُقام حالياً المعرض الدولي للخط العربي بإدارة الزوّار غير الإيرانيين تحت شعار "أحاديث وروايات عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام". وذلك بحضور فنانين دوليين من الكويت، العراق، أفغانستان، باكستان، إيران وعرض الأعمال الواردة من مختلف دول العالم. ويواصل المعرض أعماله حتى اليوم الإثنين ١٨ ديسمبر الحالي في رواق دار الرحمة في العتبة الرضوية المقدسة في مدينة مشهد المقدسة.

صدر حديثاً في بيروت..

كتاب «الفكر الإسلامي المستقبلي.. مقاربات في المنهجية»

الوفاق/ صدر حديثاً كتاب "الفكر الإسلامي المستقبلي.. مقاربات في المنهجية" للدكتور علي المؤمن في بيروت عن دار روافد، وجاء في كلمة الناشر: "كتاب الفكر الإسلامي المستقبلي، محاولة في طريق التأسيس لفكر إسلامي مستقبلي، وهو حصيلة محاولات بحثية نظرية وتجربة مؤسسية عملية، بدأها المفكر الإسلامي الدكتور علي المؤمن في العام ١٩٩٨، ولا تزال جزءاً من اهتماماته الفكرية، وكان من أهم نتاجاتها تأسيس "المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية"، الذي وضع القواعد النظرية لمحاولات أسلمة الدراسات المستقبلية والمقاربات التمهيدية لقواعد الفكر الإسلامي المستقبلي، ونشر بعضها في مجلة "المستقبلية" البحثية، وفي الكتب والدراسات الأُخر. وقد أطلق المؤلف على قواعد هذا الفكر: "المستقبلية الإسلامية"، وهي منهجية جديدة في التفكير الإسلامي، تناول الكتاب مداخلها ومفاصلها الأساسية، إضافة الى بحث مدخلية حركة التاريخ في صناعة المستقبل، ومحاولة تجسير المسافة بين الفكر الإسلامي المعاصر والمستقبلي".